

الماضی الخفیل

سَعْيَانِ وَنَهْمِي

obeykandi.com

... كثيراً ما أُرْجِعُ بِخَيَالِي إِلَى
الأيَّامِ الْغَابِرَةِ وَقَدْ غَدَتِ زَكَرَى
لِلْمَاضِي الْجَمِيلِ... طَالَمَا وَدِدْتُ لَوْ
عُدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ... طِفْطِفْ
صَغِيرًا يَجِيءُ فِي الْأَوْدِيَةِ...
www.KitaboSunnat.com

Obesity



الفنيس

« كان يوماً من أيام الربيع الباسم ..
وكان الوقت عصراً قاربت شمس الغيب ؛
أذكره كلما استنعت إلى موسيقى « جرانادا »
وقد عزفتها إحدى الحاضرات . . . »

في ذاك الوقت .. لما كنت أحييا في الأوهام ؛ أرى
الحياة أمامي في ثوب وردي يسم في تفاؤل .. في ذاك
الوقت كنت طفلاً صغيراً .. وصغيراً ساذجاً ..

وما زالت ذلك الصغير إلى أن بدأت المصائب تاتي حملها
الثقيل على أسرتي الهادئة ؛ فتناولت يد القدر والدي
وأمهلتنا وقتاً قصيراً لتعود وتختطف من بيننا والدي
وقد تركتني وشقيقتي الصغيرة وحيدتين ليس لنا من عائل إلا

خالة احتضنتنا وراحت تنفق علينا من مورد كنفه
لنا والدانا .

كانت خالتي أرملة شابة ، ورثت عن زوجها الكهل
المال الوفير وأرضاً مترامية الأطراف في الريف كنا
نقضى فيها أكثر أيام الصيف ..

كانت أصغر سناً من والدتي ، نشأت مدللة محبة للبذخ
والظهور .. ولا أدري كيف قبلت ذلك الزواج الذي لم
يعمر طويلاً .. والعيش مع عجوز أذكر الآن أنه كان
دائم المرض والسقم ، بخيلاً ، مغلول اليد ، قلباً كان يترك
منزله أو حديقة البيت الواسعة .. وكثيراً ما ترامت إلى
سمي عن جموده وتفتيره شتى الأقايص .

لم أدرك كيف ارتضته خالتي زوجاً لها بالرغم من
حدائث سنهما ، وكيف استطاعت أن تقاسمه أيامه الأخيرة ..

تلك التي لم تطل والتي قضاها ساكناً قابلاً في عقر داره ..

وفي منزل خالتي مضت الأيام الأولى من حياتنا الجديدة
في تراخ لا يكاد نفرق بين يوم وآخر .. لا أنيس لنا إلا
مربية الخالتي .. وكانت سيدة عجوز .

كانت خالتي تحنو علينا وكان في حبها لنا أكبر العزاء
لفقدنا والدتنا . وعلى مر الأيام ألفنا جو البيت وسكونه
القاسي .. وارتضينا بسرور أمومة خالتي وأصبحنا نناديها
بلقب الأم ..

وقد يصعب عليّ أن أصف هنا ذلك البيت الكبير الذي
ورثته خالتي عن زوجها قبل أن نشاركها الإقامة فيه فقد
كنت صغيراً حينئذ ولم يبق في خيالي منه إلا أنه كان
كبيراً واسعاً ، قديم البناء ، حديقته شاسعة ذات أشجار
عالية انتشرت فيها دون نظام أو ترتيب .. وكان البستاني

رجلاً عجوزاً قليل الحركة ميالاً إلى النوم .. لم يكن
ليعبأ بالعمل في الحديقة أو الإشراف عليها فتركها
على حالها ..

لبثنا في ذلك البيت وقتاً طويلاً ولم يزل على حاله ثم
جاء الصيف فتقضيناه في عزبة البرج ، ، وعند عودتنا تملكنتي
الدهشة حين وقع نظري للمرة الأولى على المنزل فقد استحال
قصرأ فخماً جديداً البناء أنيق الرياش ، نسقت حجراته في
ذوق سليم ، وتجلي البذخ في كل خطوة من أبعائه الكثيرة .
وكم كان فرحي عظيماً عند ما فاجأتني خالتي بحجرتي الجديدة
وبشرفتها الكبيرة التي تطل على الحديقة وقد كان العمل في
تنسيقها ما زال قائماً .

في ذلك البيت الجديد بدأنا مرحلة أخرى من مراحل
الحياة ، فقد بعث جوه الضاحك ومظهره الحديث المرح

والتفؤول فى نفوسنا .. كانت حياة جديدة أشعرتنا بأننا قد
طلعننا كل ما كان من ماضينا الراكد الحزين .

هناك أخذت خالى تحبى الكثير من الحفلات الساهرة
اللى كانت تقيمها لمناسبة واغير مناسبة ، فكان يوم المنزل
صديقاتها العديداً .. وهناك عرفت من فتياتهن الكثيرات ..
ومضى دور طفولتنا فى حياة هادئة ، كانت خالى أثناءها
نعم الام الحنون .. كفلت لنا كل ما نرغب .. بل وأكتر
مما كنا نرغب ..

° ° °

من الأيام ما يعلق ذكراها بالذهن دون أن يمحى ..
ولو لم يكن ذلك اليوم عيد ميلاد شقيقى ليلى الثامن عشر
لما أثر ذلك فى انطباعه على لوحته خيالى .. فقد كان له أثر
كبير فى ربيع حياتى ..

.. كان يوماً من أيام الربيع الباسم .. وكان الوقت
عصراً قاربت شمس المغيب ، أذكره كلما استمعت إلى موسيقى
جرانادا ، وقد عزفتها إحدى الحاضرات على البيان ..
إن تلك القطعة تعودني إلى ذكرى ذلك اليوم ،
وقد يعقل أن يستعرض الإنسان في ذهنه لوحة رآها ولكن
من العجب أنني أجـد في نفسي الآن القدرة على استنشاق
عبير العطر الجميل الذي كان يملأ جو المكان .

كنت يومئذ في الحادية والعشرين من عمري .. أشرفت
على نهاية دراستي في كلية الحقوق .. وكان اليوم عيد ميلاد
ليلى كما ذكرت .. غص المنزل بالكثيرات ولم أكن أرى
منهن لا واحدة . عرفت اسمها .. نائلة .. كانت لا تكبر ليلى
وربما كانت أصغر منها سناً .. فاتنة القسمات ، رشيقة القد ، يميزها
عن الأخريات ذلك الطابع الذي عرفت به فتيات الشمال .

لم أكن قد رأيتها إلا في تلك اللمسية .. ولم أكن قد
قُدمت إليها بعد ، فجلست أرقبها في صمت .. بعيداً عنها ..
قريباً منها ، فما كنت أطمع في أكثر من الإعجاب بها
ومراقبة حركاتها وسكناتها ..

لا أقول إنني أحببتها في تلك اللحظة .. كنت معجباً بها
وربما لم تكن هي وحدها موطن إعجابي دون الآخرين
فقد كنت من أولئك الذين يضعفون أمام الكثيرات ..
وقد آخذ على نفسي إظهار عاطفة قد لا تكون بالصادقة
نحو بعضهن ، ولكنني كنت حينئذ شاباً كما قلت ..

أذكر أنني اعتقدت يوماً بحبي لفتاة كانت تتردد علينا
مع أسرتهما . أغرتني هذه الفتاة بأن أشترى عربية ووعدتني
بالخروج معي يوماً .. وخرجنا وتنهضنا في طريق هادئ .
لا أدري حقاً كيف وجدت في نفسي الشجاعة حتى أطوقها

بذراعى وألهبها بقبيلات خاطفة فى بله وسذاجة ، فقد كنت
على الرغم من سنى أكثر ما أكون خجلاً أمام هذه
التجربة ..

لم أندم على ما فعلت فقد نظرت إلى بعينين شاردتين
ولم تنبس بكلمة وطال بيننا الصمت .. واتخذت مكانى من
جديد ورحت أفكر ، ومرت برهة سكون قطعتها قائلة .

— سامر .. أتعلم أنك طفل صغير ؟ !

لم يخف على ذلك اللون الساخر الذى اصطبغت به كلماتها
فاندفعت لتوى أقبالها بشره فاستسلمت لى من جديد ..
وفى طريق العودة أخذت أفكر لم كنت طفلاً وكيف لى
أن أصبح رجلاً .. ولم تطل حيرتى ، فقد عرفت السبب .

عمدت العزم على أن أطلق شاربى .. فبدأ ينمو .. وتم
نموه .. ثم قابلتها فنظرت إلى فى دهشة وأطلقت ضحكة ساخرة .

طال بي عبث تلك الفتاة وسخريتها .. ويكفي القـارىء
أن يتصور الصدمة التي واجهتني عند ما قدمت إلى في عيد
ميلادى هديتها المتواضعة كما قالت .. فضضت غلافها فوجدت
العوبة أطفال ١١ .

ما كدت أدخلو لنفسي حتى اتجهت إلى المرآة فرأيت في
زهو أنى رجل حقاً .. ولكن لم يدم ذلك الحلم طويلاً
فقد حدثت النظر في الشارب وابتسمت ساخراً وأنا
أتمم قائلاً ..

— ولوا !!

ونمت وأنا أجمع شتات أفكارى محاولاً أن أوفق إلى
ما يجب على أن أفعله في الغد حتى أثبت لها أنى ذلك الرجل
الذى كان طفلاً بالأمس ..

إن ذلك الحادث وغيره قد يمر على الإنسان دون أن

يعبأ به .. ولكنني كنت أولى مثل تلك الصدمات الكثير
من اهتمامي .. أفكر فيما فعلت وما كان يجب علي أن
أفعل .. ولو لم أكن أعير اهتمامي لأحداث اليوم لما تأثر
خاقي بالطابع الذي أفرغت فيه وعُرفت به .. طالما أحسست
أنني طفل صغير ، فكنت أحاول أن أظهر بمظهر الرجل
الحسن ، ولكن طبيعتي الهادئة كثيراً ما حالت دوني
والنجاح فيما أرمي إليه فأبدو للناس كالممثل الذي يفشل في
أداء دوره فيكون نصيبه السخرية من الجمهور ..

كنت أعرف أنني هادئ الطبع وكان يجب علي أن أرتدى
قناعاً من الجمود والصلابة فأجد أن ذلك القناع شفاف
يكشف عن طبيعتي في آخر الأمر ..

• • •

في تلك الليلة التي رأيت فيها نائلة لم يكن ورائي من

الذكريات إلا أثقلها ؛ ولكنها كانت تمر سراعا . لم أكن ذلك الشخص الذى تتعلق به فتاة لوقت طويل . . ولا أدرى إن كان ما تشعر به نحوى هى خيبة الأمل التى تطلب معها الخلاص - وبسرعة - من علاقة كنت أرى أنها تنهى فى الوقت الذى كان يجب أن تبدأ فيه .

جال بفكرى يوماً أن أقنع بالإعجاب الصامت بالمرأة التى قد أشعر نحوها بعاطفة . . أن أكتسبها ذلك الإعجاب وأخفيه عنها . . كان ذلك العزم قد سبق رؤيتى لثائلة بمدة وكنت وقتذاك فى تلك النقطة التى يحس بها كل من يقدم على أمر جال يرى منه الحلو قبل المر . . رحلت أرقبها كما قلت . . وأرقبها طوال الوقت إلى أن انتهى الحفل وخرج الجميع . . ومرت الأيام وتوالى الشهور إلى أن حانت تلك اللحظة التى قدمت فيها اليأس على الأمل . . ورحلت أحاول نسيان

تلك الليلة السعيدة وذلك الوجه الجميل .

.. لم أكن من أولئك الذين يصمدون لحظة أمام وحدتهم .. كثيراً ما كنت أبحث عن واحدة ممن كانت لي بهن علاقات سابقة .. وكنت حريصاً ، لا أفصم عرى صداقة دون أن أترك هناك طريقاً للقاء .. وطالما افترقت عن إحداهن فأجد الأخرى تنتظر .. وكثيراً ما أرجع لتلك الأخرى فلا أجد إلا صدا .. ولكن قد يحلو لاحداهن على الرغم من ذلك أن تبدأ معي من جديد حتى نصل إلى تلك النقطة التي كتب علينا أن نفرق فيها .. هناك حيث افترقنا من قبل ..

ولا أدري كيف قادني التفكير يوماً إلى الرغبة في الزواج في مثل هذه الظروف وبين تلك الاحساسات والمشاعر التي غدت تنتابني . فاتحت أختي ليلى في ذلك فابتسمت

وسألتني أيتهن أختار... وفي الواقع كنت عاجزاً عن الإجابة
فلم أكن أحسب لهذا السؤال حساباً، فتركته لأفكر.

سوف يدهش القارئ لو علم أنني دخلت حجرتي لا
لأفكر كما قلت بل أتيت بورقة قسمتها أجزاء وكتبت عليها
أسماء من أعرف من الفتيات، وخلطت الأوراق بعضها
ببعض ثم أغمضت عيني وأمسكت بواحدة... كانت باسم
نائلة... نمت وقد راح تفكيري عندها... هناك حيث
لا تعلم...

... استيقظت من نومي على صوت ليلى وقد جلست

على طرف السرير وسألتني.

— هل فكرت؟

فرددت لتوي.

— نائلة.

— نائلة ؟ يا سلام ! .. أنتجها ؟ !

— نعم يا ليلي .

سكتت برهة ثم شردت نظرتها والتفتت إلى أخيراً وقالت
وقد بدا الجدد على قسبات وجهها .

— ولكن لم لا تختار غيرها ؟ .. هناك كثيرات ..
وجميلات .

نظرت إليها في دهشة وخرجت متثاقلاً وأنا أعزو كلماتها
الآخيرة إلى حالة من الغيرة قد استولت عليها .. وزاد
عجبي وحاولت عبثاً أن أجد دافعاً آخر يجعلها تصرفني
عن رغبتي ..

في ذلك اليوم لم يغرب وجه نائلة عن خيالي ..
كنت أراها أينما كنت .. بشعرها الأشقر وقدها الأهيف .

الفصل الثاني

« . . . ولا أحاول أن أدعى الآن ذلك
الكبرياء الذي اعتقدت فيه مرة والذي
كان يحول دونى وقبول تلك الخطوة التي
تقدمتها لحوى ، فلم يكن لى من هم فى
تلك اللحظة الا أن تكون لى . . . ولى
وحدى . . . »

كنا نتأهب للذهاب إلى العزبة فى الأيام القليلة التالية .
و ذات يوم أخبرتنى لىلى أن نائلة تكن الحب لآخر ..
لم أعرف ما إذا كانت تلك المفاجأة قد سببت لى شيئاً من
الأحزان أم كانت بالعكس مدعاة لىكرهى لها وتصميمى

على عدم التفكير فيها فقد اتضح لى حينئذ أننى لم أحب تلك الفتاة فى يوم من الأيام . . ولم يكن شيئاً عسيراً أن أعمل على محو ذكراها من مخيلتى .

• • •

كانت من عادة خالتى أن تدعو بعض صديقاتها لمشاركتنا المصيف فى العزبة ؛ وقد وقع اختيارها فى ذاك العام على رجاء هانم وهى سيدة مطلقة لا يعدو سننها الخامسة والعشرين رشيقة ؛ نحيلة القد فى اعتدال ؛ ذات شعر أسود فاحم كثيراً ما كان ينقلب إلى اللون الأشقر . .

سمعت الكثير عنها ، وطالما لاكت ألسن صديقاتها بمغامراتها وقد بدأتها حين كانت فتاة ، وتمادت فى عبثها أثناء الزواج ، ولم تنقطع عنه بعد الطلاق . .

كانت رجاء مولعة بلعب الكونكان ؛ وكثيراً ما أمضت

سهراتها في منزلنا وقد تملككتها حتى اللعب دون ملل أو سأم.
لم يكن وجودها يثير بيننا شيئاً من اهتمامي فقد كنت أعلم أنها
على صلة بطبيب شاب سافرت معه مرة إلى أوروبا
لقضاء الصيف .

لم تأت رجاء وحدها إلى العزبة فقد اصطحبها شاب
قدمته لنا على أنه خطيبها ، ولكن تعاقبت الأيام على وصولهما
ولم أر لحظة أنه يعاملها بأكثر من معاملته لأخت أو لأحدى
الغريبات عنه ، وهنا بدأت أتساءل ، وراحت ليلي في صمت
حزين ، وعبثاً حاولت أن أستدرجها إلى الافضاء إلى عمان
يكون ذلك الشخص .

دخلت حجرتها ذات مساء فوجدتها وقد ارتمت على
سريرها تبكي في سكوت ولم أستطع أن أعرف الدافع لذلك
الانقلاب . . وفي الصباح رجعتي أن نمجل بالرحيل إلى أوروبا

لقضاء الصيف . . وراقت الفكرة لخالتي وكانت دهشتي عظيمة
عند ما أبدت رجاء رغبتها في أن تكون معنا ، فرحنا نستعد
وقلبي يحدثني عن حادث جليل قريب الوقوع .

أبحرت بنا الباخرة وتركنا على الميناء خالتي وعزت بك
خطيب رجاء الذي رجاني أن أشملها برعايتي . إبتعدنا عن
الأرض وأنا في عجب من أمره . .

.. إن كان هو خطيبها فلم تركها ترحل وحدها ؟ ومعنى
أنا الرجل الذي لا أصغر عنه سناً بكثير . أهو يعاملني كما
عاملني الكثيرون والكثيرات كطفل صغير ساذج ؟ . .
وما غرضه من ذلك ؟

دارت كل هذه الأسئلة بخلدي ورجعت إلى الوراأ أياما
قليلة أستعرض حوادثها فخرجت بنتيجة واضحة . . أن

عزت لا يمكن أن يكون خطيباً لرجاء .. هو صديق
لحالتي ، ما في ذلك شك .

كان هذا التفسير الذي وصلت إليه كافياً لأصمم على
فعل شيء .. نمت وأنا أفكر كيف أبدأه ، وكيف أسير
فيه .. قمت في الصباح الباكر والمسافرون كل في قمرته ،
وجلست على المقعد الكبير في ممر الباخرة الضيق الطويل
أرقب البحر والأفق البعيد ، ولا أدري لم راح جسمي يرتعش
ويرتجف بشدة ، فقامت تاركاً العنسان لقدمي وأنا لا أدري
إلى أين .. سرت وسرت حتى وجدت نفسي أمام « قمرة »
رجاء أطرق بابها .. مضت لحظات ثم سمعت صوتها وقد
أمهلتني برهة ففتحت الباب دون أن أعبا بها فوجدتها
ترتدي « الروب دي شامبر » الحريري فوق غلالتها الرقيقة .
اتجهت نحوها وأمسكت يدها واندفعت قائلاً .

— رجاء .. يجب أن تعرفي الآن .. أني أحبك .

فبهتت وحدثت النظر في وقالت في دهشة .

— أنت مجنون يا سامر ؟ ماذا حدث ؟

— لا شيء .. ولكن يجب أن تستمعي إلي .. يجب .

— سامر .. أرجوك أن تخرج .. أرجوك .

— لن أخرج قبل أن أعرف ردك .

— لا تكن طفلاً .. أخرج وإلا ناديت عالياً .

لم تجد مني إلا إصراراً وعناداً فأمسكت بيدي وقالت

في هدوء ..

— سامر .. أنت متأثر بشيء .. ولكنك كنت تستطيع

أن تحدثني في هذا الموضوع في فرصة أخرى .. هل يصح أن

تدخل دون إذني ؟ هدى .. من روعك وانتظرنى في

الخارج .. سوف أخرج حالا .. أعدك ..

— لا بأس . ولكن هل لي أن أعرف لمَ هذا التغير

المفاجيء . في لهجتك ؟

فابتسمت وقد أخذت بذراعى ثم قالت وهى تسير

بى نحو الباب .

— لا تكن مجنوناً يا سامر . لئنى أكلّمك بصراحة

ولكن أترك لى الفرصة على الأقل لأرتدى ملابسى .

— ما دام الأمر كذلك فسأنتظرك .

إنقضت نصف ساعة وأنا أرقب فى لهفة حضور رجاء .

لقد عرفت حينئذ إلى أى مدى وصلت جرأتى فى تمثيل

دورى .. لم أكن جريئاً .. بل فى الواقع طالما كنت أشعر

بالجن والخنجل .. وقد يكون ذلك الخنجل .. والخنجل الشديد

هو الذى دفعنى دفعاً لتلك المغامرة .

كان شغلى الشاغل وقد استعدت هدى أن أعرف

ما إذا كان عزت خطيب رجاء حقا .. كنت أود أن أعرف لو
كانت طبيعتها الحقّة تدفعها لقبول اعترافى وارتضائى صديقاً
كما أولئك الذين سبقوا عزت .

كانت تلك الخطوة جريئة .. وبدأ لى أنها فاشلة فقد
صدتنى رجاء .. ولكن هل هى قد صدتنى حقاً ؟

وبخافة رأيته وأنا فى بحر تأملاتى المتلاحقة .. أخذت
أقترب نحوى وقد ارتدت ، بنظرونها ، الرمادى ، وبعد لحظة
رأيت لى فى إثرها وجلسنا ثلاثتنا ورحنا فى صمت
طويل ..

لقد ظهر لى بوضوح أنها طلبت إلى لى أن ترافقهما ..
ولعلها قد أخبرتها بما حدث ..

• • •

لم أعجب إذ رأيت نفسى وقد أخذت برجاء شيئاً فشيئاً .

كان حديثها معي عادياً لا يشف عما حدث بيننا ، فرحت
أرقبها في دهشة لتجاهلها ما حدث في الصباح .

وفي ذلك اليوم استطعت أن أنفرد بها لحظة بعد الغداء
فقلت لي وقد رأت مني الرغبة في الكلام .

— أنا لا ألومك يا سامر إذ كنت تشعر بعاطفة نحوى ،
ولكن تروى قليلاً فانا أكبر منك سنّاً ، ولا تنسى أنى
خطيبة شخص أحبه ويحبني .

فاندفعت قائلاً .

— كذّاب .

فقلت لئوها ببرود وعلى شفقتها ابتسامة خفيفة ساخرة .

— هدى . من روعك يا سامر . . سواء أ كنت مخطوبة

أم لا فلي الحق في أن أعرف من شئت . ليس لك أن تتحكم
في عاطفة غيرك .

سكت وقد شق عليّ الكلام ، ومر اليوم بطيئاً في ملال .
لقد أحسست بفتور من ناحية رجاء ، وأخذ يشتد حتى تمنيت
لو لم أكن قد قلت لها شيئاً . .

شعرت بلهجتها معي وقد اعترتها سخرية لاذعة كنت
أصمد أمامها وأنا أحاول أن أحتمل تلك الكلمات التي كانت
تلقينا عليّ وأفهم من ورائها غير ما تظهر . . وطال ذلك الانجاء
الذي اتخذته نحوي ولبث طوال أيام الرحلة حتى وصلنا
إلى باريس .

لست أنسى ليلتنا الأولى في مدينة النور . . هناك حيث
أمضينا سهرتنا في الكوبول ، ملتي عشاق مونبارناس .
ذهبنا نتعشى ونقضي ما بقي لنا من وقت في المرقص الفخم . .
لقد أخذت بروعة المكان ، ورحت في حلم بديع وأنا أستمع
إلى موسيقى التانجو الهادئة ، ثم قمت مع رجاء نجول مع الراقصين .

كانت قد أفرطت في الشراب ، ففضت تنظر إلى بعينين
حالمين لم يخف على ما كانتا تطويانه من إحساس دفين
كشفت عنه تلك النشوة التي بعثت في كيانه . . لم أغبط
لهذا التحول المفاجئ . فما كنت أولى أهتمامى لنظرة منها في
تلك اللحظة قد أفسرها لصالحى أو ربما كنت أعتبرها
نصراً كافياً لمحاولاتى الكثيرة .

ولعل رغبتي في الجمود أمامها وقد تركت عنانها لطبيعتها
الصاخبة . . لعل ذلك الجمود قد جعلنى أنسى أنى أطوق
بذراعى تلك التى جريت وراءها أياماً مضت . .

.. لم أمتد طويلاً فى سكونى فتمدد انتهى الأمر بأن
أضعف أمام رجاء وقد فذت بها فى تلك الليلة ، بعد أن
رأيتها ساحرة فى ذلك الاطار الضاحك المرح . . كان من
الصعب على أن أبقي بارداً أظواهر بالجفاء نحوها ، ولا أحاول

أن أدعى الآن ذلك الكبرياء الذى اعتقدت فيه مرة والذى
كان يحول دونى وقبول تلك الخطوة التى تقدمتها نحوى ،
فلم يكن لى من هم فى تلك اللحظة إلا أن تكون لى ..
ولى وحدى ..

إن من يعرف لىالى باريس يذكر تلك الحانات
الصغيرة الصاخبة التى تنتشر فى أحياء الشاتليه ، وهالهال ،
يؤمها الساهرون بعد قضاء ليلتهم فى المراقص أو دور اللهىو
ليتناولوا طبق حساء البصل التقليدى .. هناك انتهت بنا
مرحلة قطعناها مشياً على الأقدام فى الطرقات الساكنة
فى ذلك الوقت المبكر من النهار . جلسنا ثلاثتنا
رجاء ولىلى وأنا .. ولم تكن لىلى تظهر لنا ما يشعرنا بوجودها
فقد كانت صامته بعيدة عنا .. وربما قد شعرت بما كان يحول
بخاطرى حينذاك .. ولعلها لم تكن ترى فى رجاء أكثر مما

رأته في غيرها من صديقاتي .. تناولات يد رجاء واقتربت
منها فلم تزد على أن أسندت رأسها إلى صدري .. ورحنا في
حلم صامت جميل .. رأتنا ليلي فابتسمت وابتسمت بدوري ..
في تلك اللحظة بدالي من بين طيات الماضي طيف
وددت لو كان نصيبي النسيان .. رحت أتساءل من جديد ،
هل تكون رجاء خطيبة عزت ؟ .. وبذلك السؤال تغير
اتجاهي فجأة فقد بقي أن أعرف ما إذا كان هو حقاً خطيبها
أم هو صديق لخالتي ..

ولكن .. هل أكون قد أحببت رجاء ؟

إنني أجد في نفسي عيباً كثيراً ما ضايقتني .. أن أعتقد فيما
أريد ، وأنغاضي عما لا أريد .. أتنامي فأنسى ما قد يسبب لي
إزعاجاً .. وأترك نفسي تسرح طليقة حرة نحو أمل قد
يكون سراياً ..

لقد رحت أتصور أنتى حقاً أحب رجاء...

إنهت السهرة وعـدنا إلى حيث نزلنا فى فندق « ريجينا »

وتمددت فى فراشى أفكر ، وأقدر نصر اليوم إلى أن أنت

ليلى وجلست بجوارى كعادتها وهمست إلى فى ابتسام .

— ألا تجد معى أن رجاء ظريفة ؟

فأجبت فى خبث .

— نعم .. ولكن للأسف .

— لا .. لا تحاول أن تنقب عن عيب فيها .

— مخطوبة .

فشردت نظرتها— وزالت الابتسامة عن شفيتها وسكتت

عن الكلام ثم أدارت وجهها وقامت إلى مخدعها .

لم أعجب من ذلك ، فقممت إليها ورحت أهدى من روعها

وقد رأيتها تبكى .. لم أكن من الغباء بحيث لا أستطيع تفسير

موقفها .. هناك حقيقة بدت عارية أمامي .. أن عزت
صديق خالتي .

إقتربتُ من ليلى وأنا أقول .

— لا تفكرى يا ليلى فى هذا الموضوع .. أعدك أن
نعدش بعيداً عن خالتي .

ظلت صامئة فتابعْتُ الحديث قائلاً .

— وسنختار لدى عودتنا مسكناً يعجبك . أنا متأكد أنك
ستكونين ربة منزل ماهرة .. أليس كذلك يا ليلى ؟
فقلت فى صوت خافت وقد هدأت قليلاً .

— كانت هذه دائماً أمنيته .. لقد مللت تلك الحياة .. إن

خالتي على اتصال بعزت منذ أمد بعيد وما كان يوماً
خطيباً لرجاء .. وطالما كنت أشعر بأننا عبء عليها
وربما كان عدم وجودنا فى البيت أفضل لنا ولها .. ولكننى

كنت أحبها واعتبرها في مقام الأم سواء بسواء .

— وما زالت ياليلي ..

— لكن لن أشاركها بعد الآن تلك الحياة في دارها .

— إطمئني، فسنتركها حتماً ياليلي، ولا تفكرى في هذا بعد الآن .

ما زلت بجانبها حتى علت الابتسامة وجهها ومضت لحظات

فاستغرقت في نوم عميق وقمت متجهاً إلى مخدع رجاء في بطن.

وحذر . حاولت عبثاً أن أفتح الباب فقد كان مغلقاً من الداخل ،

وأخيراً طرقت بهدوء ثم بشدة حتى خشيت أن يشعر بي أحد

فرجعت أدراجي يائساً ..

.. لم أستيقظ من نومي إلا في ساعة متأخرة من

صباح اليوم التالي فجلست أقرأ لأدفع عن نفسي ما كنت

أشعر به من ضيق ولكن أتى لي أن أتابع القراءة ورجاء

تشغل أفكاري . تركت الكتاب جانباً وقمت أسير في الردهة

الطويلة حتى رأيتها أمامي . . . إتجهت نحوها ولمكنها سرعان
ما دلفت إلى حجرتها وأوصدت الباب وراها وعبثاً رحت
أطلب إليها أن تسمح لي بالدخول .

لم يكن صدها لي عند محاولتي الدخول إليها فحسب بل
لقد تحاشتني منذ اليوم الأول من اعترافي لها بحبي . . كنت
أحس في كل دقيقة تمر بي بأن شغفي بها يزداد ، وربما كنت
أفسر أحياناً ذلك الشعور الذي ملك حواسي ببعدي عن
الآخرات إذ لم أكن أرى غيرها أمامي . . ولكن ماذا لو
خرجت عن محيطها إلى غيرها قد يحلوا لي أن ألهو معهم وأجد
فيهم ما لم أجد في رجاء ؟ ولم تجاهلتُ حتى تلك اللحظة
وجودي في ذلك العالم الصاخب . . باريس تلك المدينة التي
يكاد ينسى الانسان فيها أحزانه ؟ أي قوة أرتضى معها هذا
الجفاء في الوقت الذي أستطيع فيه أن أعبت مع الكثيرات ؟ .

مرت كل هذه التأملات في رأسي فاستأذنت من ليلى
ورجاء في ليلة شعرا فيها بالتعب وخرجت إلى مرقص ليلى
حيث أخذت قسطي من الرقص والشراب ثم رجعت إلى
الفندق بعد أن أمضيت ساعات مازجة من ليلة حراء استيقظت
في نهارها وأنا لا أذكر الكثير منها...

لم يكن من العسير عليّ أن أبادل رجاء جفائها بجفاء...
كما كان يجب عليّ ألا أترك أياماً كثيرة تنقضي دون أن
أكرر تلك التجربة التي قمت بها مرة... أن أذهب من حانة
إلى أخرى... ومن أحضان هذه إلى تلك لأعود في آخر الأمر
إلى رجاء وأنا أظهر لها مثل ما كانت تظهر لي... ولعلها شعرت
بخطاتي الجديدة وبذلك التحول الشامل الذي انتابني فلم تعد
تخشاني كما كانت تفعل من قبل.

القصص العالمة

« . . . ان من طبيعة أولئك الذين عرفوا
بكبرياتهم أن يكتنوا ما يسمون به ويحتملوا
الكثير في صمت وسكون . . . يكون لأنفسهم . . .
هناك حيث لا رقيب أو شاهد على طبيعتهم
المجردة . . . لك التي لا تميزهم على غيرهم . . . »

مرت أيام وحل يوم ممطر تمخض عن حادثين ..
لقد تسلمنا خطاباً من خالتي أنباتنا في نهايته بوجودها
في العزبة وأنها قد تزوجت من عزت .. كان هذا
أجل الحادثين ..

أما الثاني فهو وصول الدكتور رمزي صديق رجاء ..

كان لكلا الحادئين أثر كبير في نفسي .. فقد أفرحني زواج خالتي ، وساءني حضور الدكتور . وفي تلك اللحظة وطدت العزم على ترك باريس ولكنني سرعان ما عدلت ..

لم تكن ليلى بأقل فرحاً مني لزواج خالتي ، وقد كان في اغتباطها لهذا الخبر ما يكفي لتنسى ذلك الجو الذي عاشت فيه زمناً نقيمت فيه على مسلك خالتنا قبل زواجها من عزت ..

° ° °

لا أستطيع الآن أن أكشف للقارئ ما قد خفي عليه من شخصية رجاء التي كان يصعب عليّ أن أتفهمها في تلك اللحظة ، فلم أكن أدري إذا كانت أسيرة ضعف توطن بها أم مرض ألمّ بمخلقها أم نزوات تغلبت عليها فلم تعد تستقر على حال .

كنا جلوساً نلعب ، الكونكان ، في مساء يوم
وصول الدكتور ، وكنت مع ليلي في مواجهته . ورجاء
التي جلست إلى يساري .. لست أدري الآن إذا كانت
حينئذ في نشوة الخمر فقد راحت تداعبني بكلمات أخذت
تلقينها في دلي وكنت أتقبلها في صمت وسكون .

لقد ذهبت إلى أبعد من ذلك .. أحاطت قدمي بقدميها
وراحت تضغط عليها في حين أمسك الدكتور يدها
واقترب منها ولف ذراعه حول عنقها ، يهمس إليها
بكلمات ضحكت لها في إغراء .. أخذت أرقبها في عجب
مستسلماً لدعابتها وفتنتها ، وما كانت لتعبأ بنظراتي وقد
أخذت بي الدهشة كل مأخذ ، فلم توجه إلى التفاتاً ، بل
ظهرت لي وكأنها لا تحس بوجودي أمامها .

كان الدكتور رمزي شاباً قد تخطى الخامسة والثلاثين ،

طويل القامة ، تبدو الرجولة الكاملة على وجهه ، خط
المشييب برأسه ، وكان قليل الاهتمام بمظهره وملبسه على
الرغم من ثرائه العريض .

لا أستطيع الآن أن أقطع بتعلقه برجاء أو بحبه لها
فلم يكن يبدى نحوها أكثر مما يبدى الشخص لصديقة
شغف بها يوماً وأصبح لها زميلاً قديماً لا يجد حرجاً في
الاعجاب بامرأة أمامها أو الاعتذار إليها للخروج لموعد
مع أخرى ..

كانت لهجة الاثنين تشوبها نغمة ساخرة ، فقد راحا
يتراشقان بكلمات كنت لا أفهم منها ما يفهمان من ورائها
وكم كنت أرهف سمعى دون أن أظهر لأحاول فهم ما يرميان
إليه من حديث ضاحك ساخر .. ولم يكن الحظ بحليفى
في أغلب الأحيان .

في تلك الليلة فوجئت بأمر عجيب دهشت له .. لقد
طلبت الى رجاء أن أ اصطحبها في جولة سيراً على الأقدام ،
ولما أخبرت ليلى ابتسمت وقالت إنها ستقرأ في سريرها
وتنام مبكرة .

بدأنا المسير ولم أكن أجد ما أقول ، وكثيراً ما فكرت
في موضوعات شتى ، وليكني سرعان ما كنت أراها
سخيفة تافهة ، قد لا يلد لها سماعها ..

كنا نسير في شارع دريثولي ، حتى انتهينا إلى ميدان
« الكونكورد » الفسيح بأنواره الساطعة التي انتشرت فيه وقد
انعكست على الطريق الذي يله المطر .. وما كدنا نصل إلى
بداية « الشانزلزيه » ، حتى قالت بعد ذلك الصمت الطويل ..

— سامر .. أنا خائفة ..

فدهشت وسألتها قائلاً ..

— مم ؟

— .. قد أكون غيبة .. ولكننى فى الواقع خائفة منك .

— ولم ؟

— لعلك كنت تفكر فى شىء ربما كان هو الدافع لك

عند ما صارحتنى بحبك ..

— رجاء .. لا أخالك تظنيتنى ذلك الشخص ؟ !

— .. ولكننى أردت أن أتا كد منك ..

قالت ذلك وأمسكت ذراعى بكلتا يديها وسرنا وكأننا

لم نكن بالأمس غريبين أحدهنا عن الآخر ..

شعرت حينئذ بقلبى يخفق ، ولم أكن أدرى لم أغرورقت

عيناي بدمعتين ، واستولى على إحساس غريب لم أشعر

به من قبل . ربما كنت فى سعادة لا أذكر الآن مداها

وأنا أستعرض ما حدث .. ولا أعلم هل كنت أشعر - وقد

انتصرت أخيراً - بالفرح أم بالكبرياء ..

ما كدنا نصل إلى تلك الدائرة من الطريق التي تحيط
بقوس النصر في ميدان «الايتوال» في نهاية «الشانزلزيه» ،
حتى توقفنا عن المسير وقد كان الطريق مقفراً فيما عدا
السيارات التي كانت تقطعه بسرعة .. أمسكت برجاء من
كتفها ورحلت أحرق النظر في عينيها وقد رفعتها إلى في
تساؤل وسذاجة مغرية ، فضممتها إلى صدرى وطبعت
قبلة طويلة على جبينها ، ثم طرقت خصرها النحيل بذراعى
وانجھنا نحو الفندق في الطريق الذي أتينا منه ..

سرنا الهويننا ونحن في صمت حالم رحت فيه بأفكارى
إلى عالم حلو بعيد ، وطالما وددت ألا أستفيق من تلك
النشوة الهادئة التي تملكتنى حتى اقتربنا من الفندق فقلت لها .

- رجاء ! . والدكتور رمزى ؟

صمتت وهي تنظر الى بعينين بريئتين . فاستطردت قائلاً .
— أنا لا أريد أن أراه معك بعد اليوم .

فهرت رأسها موافقة .. وفي تلك الليلة افترقنا أمام
حجرتها ولا أعلم لم اكتفيت بأن أضمرها إلى صدري
وأطبع على جبينها قبلة خاطفة ..

في صباح اليوم التالي رأيت رجاء جالسة في صالون
الفندق وبجانها الدكتور وقد اضطجع في مقعده ووضع
قدماً فوق الأخرى .. وما كادت تراني حتى ابتسمت
ونادتني وطلبت الى الجلوس فاخترت مقعداً بجانبها وقد
بلغ بي الغضب حداً بعيداً ..

وجدت أن عدم وجودي بينهما ربما كان أجدي لهما
ولي فقد انصرفا إلى حديث لم أكن أفقه منه كلمة ..

استأذنت فقممت إلى حجـرتى وقد غلبتنى الدموع فرحت
أبكى بتأثر .. ولم يكن الدافع لذلك البكاء الغريب سوى
شعورى بأن كبريائى قد أصيب فى الصميم .

لقد كانت لحظة غريبة ؛ يشعر فيها الانسان أن
العالم وأولئك الذين يعرفهم على الأرض قد تأمروا ضده .
لا يحس نحوهم بغير النفور والحنق .. ويتمنى لو لم يكن
قد وُجد فى ذلك الوقت أو لم تكن الظروف قد هيات له
أن يعرف هؤلاء الذين يسبون له آلامه وأحزانه ..

لم أكن فى هذه اللحظة قادراً على أن أتصور - ولو
لقليل - وجه تلك التى كنت معها بالأمس فى حلم جميل ..
رحمت أحتقر وجودى وكىانى وعجبت من نفسى .. كيف
يحدث أن أبكى ؟ اهل يليق بى أن أترك عبراتى تنهمر
على وجهى كما يحدث لأولئك الذين كنت أهزأ منهم

وأسخر بهم ؟ ولم أعبأ برجاء ؟ وهل يُعقل أن أتأثر أو
أهتم بتلك المخافات ، فأنا لا أحبها ، ولم أحبها .. لأذهب
الليلة إلى غيرها وسترى غداً كيف يكون شعورى نحوها ..

إن من طبيعة أولئك الذين عُرِفوا بكبرياتهم أن
يكتُموا ما يشعرون به ويحتملوا الكثير في صمت وسكون ؛
يكون لأنفسهم هناك حيث لا رقيب أو شاهد على طبيعتهم
المجردة .. تلك التي لا تميزهم عن غيرهم ..

كنت أوقن أنني أغار من الدكتور لا لحبي لرجاء
ولكنني كنت أود أن تصبح لي .. وحدي . وكثيراً ما كانت
الأنانية تجعلني لا أحس بغيري على الأرض ، فيبطن لي
الواقع خيبة أمل كبيرة تهدم ما أراه في خيالي ..

جاءتني ليلى بعد قليل وأخبرتني باتفاقها مع رجاء على
التنزه في قارب في بحيرة غابة بولونيا ، فسألتهما لتوى .

— والدكتور رمزي ؟

— لقد عزم على السفر ، وربما هو يستعد الآن .

فكرت قليلاً ثم قلت .

— آسف يا ليلي .. سوف لا أذهب معكما .

— لا تكن غيباً .. إنها فكرة رجاء .

— وماذا يهمني ؟ !

فاقتربت مني وجلست بجانبني وقالت .

— أراهن أن موقفك منها قد تغير .. فماذا حدث ؟

ها .. أخبرني . إني شقيقتك ولا يجب أن تخفي عني شيئاً ..

— من يكون هذا الدكتور ؟ أهو العوبة في يدها ؟

أم هناك ما يجعلها تعاملني تلك المعاملة الشاذة في حضوره ؟

— أوه يا سامر .. أؤكد لك أن لا شيء بينهما الآن .

سوف تضحك لو أخبرتك أنها سألتني عما إذا كنت أقبله

زوجاً لي !!

-- زوجاً لك ؟! لو كان هذا ما يريد لحاول على الأقل

أن يخفى تدهله بها .

-- إنه لا يدري شيئاً عن ذلك الموضوع .

-- وأنت ؟ ماذا كان جوابك ؟

-- أهذا سؤال توجهه إلي ؟! أن أَرْضَى بذلك الشخص

المغرور ؟! أوه . إنك تمزح . . لقد رفضت طبعاً . . وشجعتني
رجاء على ذلك ..

مرت بي حينئذ فكرة طارئة . . إعتقدت أنني لمست

طرف الخيط الذي يسهل لي معه حل المشكلة . . إستولت

على إثارة رخيصة طـالما أسفت لملازمتها إيباي في أوقات

كان يجب أن أكون أثناءها رجلاً نبيلاً لا طفلاً أنانياً .

قلت في هدوء وإغراء .

— إننا لا نعرفه ياليلي .. وقد يكون أفضل مما تتصورين .
فردت عليّ لتوها .

— ماذا تنتظر أن يكون؟ أنت لا ترضى أن أقبل
رجلاً كان لرجاء في وقت من الأوقات ! ..

رمت إليّ بهذه العبارة ولم أكن أعرف إن كانت تقصد
شيئاً من وراءها أم فاهت بها في براءة بعيدة عن أن تعني
ما جال بخاطري حينذاك ..

° ° °

بعد ساعات كنا في قارب صغير أمسكت بمجدافيه
أعمل بهما في مياه البحيرة الواسعة وقد التصقت رجاء بي
وجلست ليلى بعيداً عنا تقرأ كتاباً انصرفت إليه ، أو لعلها
تظاهرت بذلك .

لم أكن قد دعوت رجاء لمكانها الذي اتخذته .. بل

لم أكن قد وجهت إليها كلمة واحدة منذ تركنا الفندق ..
ولعلمها لحظت ذلك الجفاء، فلم تشأ أن تعاملني بمثل معاملتي
لها . إبتسمت في دلال وهي تقول في صوت خافت .

— بجاني طفل صغير يتظاهر بالغضب .. أتعرفه ؟

فأجبت دون أن ألتفت إليها .

— عجباً ! لم أكن أدري أنني غاضب حقاً ! ..

— أهكذا يفعل إذن الرجل الممبذب عند ما يكون في

صحبة سيدة ؟ يتركها ويركن إلى الصمت الطويل دون أن

ينبس بكلمة ! ..

— آسف .. لم أكن أجد ما أقول .

— إن الرجل الممبذب يجد دائماً ما يقول .

— لو تكلمت فسوف يكون حديثي سخافة تافهة .

— إذن تكلم ، ولو نطقت بسخافة . ومع ذلك فالرجل

المهذب يتكلم ويمجد دائماً موضوعاً بعيداً عن أن يكون سخيلاً .

— قد لا أكون رجلاً مهذباً ..

— خسارة يا سامر .

— أجل .. إنها خسارة لى .

— بل لى أنا ..

— أياهمك أمرى ؟

— وكم يهمنى أمرك !

— أهنتك يا رجاء .. إتنى أعجب دائماً بسخريتك على

الرغم منى .

فهزت رأسها معترضة وقالت .

— أوه يا سامر .. أنت لا تفهمنى . إن الرجل المهذب

يستطيع دائماً أن يفهم النساء .

— لقد شبت من حديثك عن الرجل المهذب . هل

أستطيع أن أعرف من يكون ؟

— قد تكون أنت ذلك الرجل .

— أو لعله الدكتور رمزي ؟

— مثلاً . . إنه نموذج للرجل المذهب .

قالت ذلك بحيث دون أن تلتفت لترى وقع كلماتها

فرمقتها بنظرة طويلة ، ثم قلت .

— في الواقع أنه نموذج صالح . . سوف آخذ عنه أن

اضطجع بجانب سيدة وأضع قدماً فوق أخرى .

— إن ذلك يعجبني في الرجل .

فسألتها لتوى .

— المذهب ؟

— أراك قد أعجبت بالرجل المذهب !

— لا أدري في الواقع متى يجب أن أكون ذلك الرجل

ومتى لا يجب . . هل أستطيع أن أعرف منك كيف أعامل
شخصاً ينقلب على أمره بين لحظة وأخرى فيتغير من
حال إلى حال ؟

سألتني وهي تعرف الجواب .

— أهي صديقة ؟

— قد تكون ذلك .

— إنها نصيحة أسيديا إليك . . أرايت كيف يمسكون

الطفل الصغير ويقلبونه فوق الركبة ويضربونه كلما أتى

أمراً يستوجب العقاب ؟

— لأنها ليست بطفلة . .

— ولو . .

— هل يليق بالرجل المهذب أن يفعل ذلك ؟

— كم أحبه لو فعل !

كان القارب ينساب في مياه البحيرة ببطء وهدوء وقد
انبعثت موسيقى فالس الغابة السوداء من جرامفون ، بعيد
على الشاطئ ، فرحنا في صمت طويل لا يعكر صفوه سوى
صوت المجذاف وهو يضرب في المياه ضربا منتظماً راح
في انسجام مع اللحن الجميل الذي كان يصل إلينا من بعيد
ثم أخذ يضعف ويختفي حتى وجدنا أنفسنا من جديد نستمع
إلى ضربات المجذاف منفرداً بتعكيره صفو ذلك الهدوء
الشامل الذي كان يخيم علينا . .

في تلك اللحظة بدأت أشعر بوجود ليلى ، التفت إليها
فرايتها وقد انكبت على كتابها . .

• • •

كان علينا أن ننتظر الدكتور رمزي مساء ذلك اليوم في
ردهة الفندق لنودعه وقد عزم على السفر في قطار مرسيليا

الليلي .. وكان عليّ أن أنظاھر أمامه بالأسف الشديد لتركه
أيانا ولما يمكث معنا إلا قليلاً .. ولا أدري إذا كان يحمل
لي حينئذ نفس الشعور ، وإنما أدري حقاً أنني كنت أحس
بالسعادة تسري في كياني .

.. ونزل الدكتور من حجرة وودعته رجاء كما ودعناه
إلى أن اختفت سيارته عن الأنظار فدخلنا الردهة ورحنا
بعد دقائق في مرح من جديد ، حتى قامت ليلى إلى فراشها
وقد شعرت بشيء من التعب .. وبعد دقائق كنت في إثرها .

بدأ النعاس يدب في عيني ليلى حتى نامت ، فقامت في
حذر وفتحت الباب بهدوء وخرجت متجهاً نحو حجرة رجاء ،
وكم كانت دهشتي عظيمة عندما وجدت الباب غير موصد
ففتحته ودخلت حيث كانت نائمة . جلست على فراشها

ورحت أتأمل قسما وجهها الفاتن وذلك الهدوء الساذج
الذى انطبع عليها .. ومن ثم أخذت أفكر .. هل تكون
هذه المخلوقة رجاء ؟ . تلك التى لم أر فيها إلا القوة والسخرية .
فكرت طويلاً وبدأ التردد ينتابنى ، ولست أخفى هنا ذلك
الخوف الذى أحسست به فجأة .. والرغبة فى الاختفاء من
أمامها قبل أن تشعر بوجودى .

تركت الحجرة كما دخلتها بحذر ، واستلقيت على فراشى
وأنا أحاول النوم دون جدوى . لم أستعد هدوئى إلا وأنا
فى طريقى مرة أخرى إلى رجاء .. دخلت إليها وهزتها
وأنا أهتف باسمها ففتحت عينيها فى كسل ثم نظرت إلى دون
أن تتلفظ بحرف حتى استفاقت وجلست على سريرها .
وفى تلك اللحظة احتضنتها فاستسلمت لى وقد هتفت باسمى .
.. وكانت ليلة ..

النفس المرفوعة

والها كالاخرها . . .

.....

قمت في ظهر اليوم التالي على صوت التليفون ، وكم كانت دهشتي كبيرة عندما وجدت الدكتور رمزي يطلب الى أن ألقاه في الصالون لأمر هام . كانت ليلى لا تزال تشعر بتوعك فطمأنتها وأشرت عليها بملازمة الفراش .

بلغت دهشتي أشدها عند ما فاتحني الدكتور برغبته
في الزواج .. ومن ليلى شقيقتي .. تلك الفكرة التي جعلته
يعدل عن سفره ويرجع من حيث ذهب وكله أمل في
إجابة رجائه ..

كان ذلك الموضوع كافياً ليثير في نفسي إحساسات
شتى ، فلم أكن أستطيع أن أقطع برأى حتى أعرض الأمر
على ليلى .. كما لم أكن براغب عن فكرة زواجها من الرجل
الذي كان غريبى بالأمس ..

ولكن ماذا يكون رأى ليلى ؟ هل تقبله اليوم وقد
رفضته من قبل ؟ أترضى بالرجل الذي كان لرجاء بالأمس ؟
وماذا تقول رجاء نفسها لو علمت بحديث اليوم ؟ أكانت
جادة فيما عرضت على ليلى ؟ أتراها قد فصمت عـرى
صداقتها بالدكتور ؟ ولو تزوجت ليلى من صديقها القديم

هل يكون ذلك مدعاة لسخريتها من شقيقتي ؟

جالت هذه الاسئلة المتلاحقة في ذهني ، ولم أكن أجد لها جواباً في مثل السرعة التي رحت أتسامل بها .. لا أدري حقاً إذا كنت قد فرحت حينذاك أم كان يجدر بي أن أرفض لتوى قبل أن أستطلع ليلي رأيها ؟

ولعل الدكتور لم يكن ينتظر مني اعتراضاً ما فقد دهش لما صمت برهة شعرت بأنها قد طالت فقلت .

— ربما كان الأمر يهمها أكثر مما يهمني .. ولكن يا دكتور هل تظن أنها تقبل شخصاً كان صديقاً لصاحبته ؟ إن المرأة قد تضحي بسعادتها لترضى في نفسها حاسة الكبرياء . وقد لا تكون ليلى من أولئك اللاتي يخضعن بسهولة لمأرب يتطلب أن تنزل - ولو قليلاً - عن كبريائها ، وعلى كل سأخبرها وستكون الكلمة بطبيعة الحال لها ، وتأكد

يا دكتور أنك ستكون دائماً نعم الصديق ولو كان ردها الرفض .

كنت أوقن بأننى أود صداقته ؛ وكم من مرة كنت أرى نفسى ضعيفاً بجانبه ، صغيراً حقيراً ، لا يجد فى الكثيرات ما يرجونه فى الرجل .. لا أدري لمَ فهم بتلك العبارة الأخيرة ، ولمَ رحلت أجزى وراء صداقته ، وأصارحه بتلك الفكرة التى مرت بذهنى حينئذ ، ربما كان ذلك بالرغم منى ، فقد تمنيت حقاً أن أكون صديق ذلك الرجل .. غريمى بالأمس ..

ولكن لمَ أكرهه وقد أصبحت رجاء لى ؟ لمَ أحقد عليه وقد جاء يطلب يد أختي ؟ أليس فى ذلك من دليل على انتهاء علاقته برجاء ؟ . أيعقل أنه يحب رجاء فى الوقت الذى يرجو فيه الزواج من شقيقتي ؟

قد يكون هذا الرجل غريب الأطوار ، كما قد يكون

بسيطاً كل البساطة ، وربما كنت أنا الذى أحاول وضع
العقبات فى طريق سهل منبسط . . قد أكون اليوم فى مثل
قوة الدكتور وفى غير حاجة لصداقته . . فهل أنا أخشاه
ورجاء قد أصبحت لى ؟ !

ولكن ماذا تكون رجاء لى الآن ؟ !

إنها كالأخريات . . ربما اعتقدت يوماً بغموضها وبثلك
الغربة التى تكتنف طباعها وخلقمها . . قد أكون اليوم غيرى
فى الأمس . . ذلك المتلف عليها الذى كان يقنع منها بكلمة
ترضى فى نفسه نزعة الأنانية التى تدفعه ليشبع كبريائه
بحبها له . .

كنت فى صباح ذلك اليوم متقلب الفكر ، لم أستطع
أن أقطع برأى فيما لو كنت أحب رجاء . . ولجأة أخرجنى
الدكتور من عالم تفكيرى بقوله وقد اقترب منى .

— سوف أترك لك مهمة اقناع ليلى يا سامر .. ربما
هى تظننى صديق رجاء .. نعم ، لقد كنت صديقها .. ولكن
يجب على المرأة ألا تدع نفسها تجرى وراء خيال واهم ..
وراء رجل تريده ملاكاً . رجاء لا تعدو الآن لى غير
امرأة أحببتها يوماً كما قد تكون أنت أحببت الكثيرات من
قبل .. أرى أنك لم تقتنع بعد .. ولكن ألا ترى أن رجاء
تميل إليك وأن ذلك دليلاً جليلاً يعزز ما أقول ؟ أنا أعرف
أنها تحبك ، ولعللى أفشى سرأباحث به إلى يوماً لو أقطع
بجبهها لك ..

فقلت له فى تساؤل .

— أظن ؟ .

— أنا واثق يا سامر . أعرف أنه يبدى منها فى بعض
الاحايين من التصرفات ما تعده غريباً ، ولكنها يا صديق

غامضة ومن العسير أن تفهمها كما نفهم حقيقة سافرة .. قد
تذكر عليك اليوم ما أعطت بالأمس ، ولكن ثق بأنها في
الغد غيرها اليوم .. لم لا تكون جريئاً معها .. فظاً .. خشناً ؟ !

— ولكنها قد تفضل الرجل المهذب .

— إياك وأن تكون ذلك الرجل المهذب .

مرت برهة سكون قصيرة مر بي خاطر أثناءها فقلت .

— ولكن يا دكتور .. كيف علمت أنني أحبها ؟

فابتسم وقال .

— يا صديقي .. الصب تفضحه عيونه .

— لو كان عاشقاً حقاً ..

— ومهما حاول أن يغالط نفسه أو يخدع غيره .

... أعتقد أنني أحاول أن أخدعك ؟

— ومن قال ذلك ؟

سكتُ وقد رأيت من الأوفق أن أغير مجرى الحديث ،
ولكنني لم أجد ما أقول ، فقامت مستأذناً ووعده بأن
أعود إليه بعد لحظة .

تركت الردهة صاعداً إلى ليلي ، وفي الطريق قابلت رجاء
فاستقبلتني في شيء من الجفاء ، ولما أخبرتها بمشروع
الدكتور حددت في بعينين ساهمتين ؛ وتركتني وتابعت
سيرها فوقفت أرقبها في حيرة من أمرها ؛ ولكنها ما لبثت
أن توقفت عن المسير ورجعت إلى وسألتني .

— هل تعتقد يا سامر أن ليلي سترضى ؟

— ولم لا ؟

— لقد رفضته من قبل .

— ربما نرفض بالأمس ما نرتضيه اليوم .

— وأنت .. ما رأيك ؟

— إن الدكتور رجل مهذب .. كما اعترفت أنت
بذلك .. ولست أجد في الواقع مانعاً من قبوله زوجاً
ليلي .

— أنت لا تعرفه .

— حسبي رأيك فيه .

— لقد كنت أهزأ بك .

— إنني أقدر صراحتك يا رجاء .. وعلى كل حال

لا أستطيع أن أقطع برأي . إن الأمر يهم ليلى أكثر
مما يهمني .

— سوف أصارحها بكل شيء .

— بيم ؟

— إن الدكتور لا يليق بها .. هو غير جدير بها

وكفى ..

— لا أرى إذا كنت ستفعلين ذلك بدافع حبك لها ..

أم حبك للدكتور نفسه .

— إن ليلي كشقيقتي تماماً .. أحبها كما أحب نفسي .

— لعلك تنسين يا سيدتي أنها شقيقتي أنا الآخر .

— ولكنك لا تفهم في مثل هذا الموضوع .

— لا أكتملك إعجابي بكائك !

— أنت تهزأ بي .

— عفواً .

— بل أنت تفعل .

— أراك مضطربة .. ولعلك في حاجة إلى الراحة .

— سامر .. أنت لا ترضى أن تزوج ليلي من رمزي ..

لا يمكنك أن تقبله لها .. إنني أحبك وأود الخير لكما ..

استمع إلي ولا تتسرع . إن الدكتور لا يمكنه أن يحب .

فقاطعتها في حدة وقد نفذ صبري .

— أرجوك يا سيدتي ألا تنظري في مرآة شخصك ..

لا تعتقدي في الناس ما ترينه في نفسك وخلقك من صفات أراها -

تجهم وجهها فجأة وقاطعت كلماتي قائلة في حزم .

— لك أن تهتني بما تشاء .. ولكن لن يتزوج رمزي

من ليلى .

تبع رجاء إلى حجرتها— وقد أغلقت بابها . دخلت

فوجدتها وقد ارتمت على سريرها تبكي ، ولما شعرت بوجودي

أمامها التفت نحوي وطلبت إلى أن أخرج ولكنني

لم أفعل .

قد يصعب علي أن أتصور الآن لم استولى علي حينئذ

ذلك الضعف الذي اتابني وقتاً كنت فيه أكثر ما أكون
احتياجاً إلى الحزم والتبصر ..

إقتربت منها وأنا أقول في صوت مضطرب .
— سوف أنسى يا رجاء ما فات ، لو وعدت بطلي ذلك
الحديث الذي مضى .

لم تنظر الى بل قالت رداً على ما فهمت به .
— إبتعد عني .. أرجوك .
— لن أتركك قبل أن نسوي ما بيننا .

أخذت بيدها واحطتها بذراعي فغطت إلى طويلاً في
براعة وهدوء .. ولم أشعر في تلك اللحظة كيف تسنى لي
أن أنسى الدكتور .. إنها لحظات ضعف كانت تنتابني
كما قلت ..

لم يعال بنسا الوقت فنهضنا ذاهبين إلى ليلى ..

طرقنا الباب دون أن نسمع مجيباً فدخلت فإذا بها
طريحة الفراش تتلوى من الألم .. لم أشعر بنفسى وأنا أنزل
إلى الدكتور أناديه لاسعافها .. كانت فترة قاسية تلك التي
أمضيتها واقفاً في ركن الحجرة ، ورمزى يفحصها وقد وقفت
رجاء بجانب الفراش شاردة قليلة الحركة .

بدت في عيني كتمثال جامد للمخلوقة جمعت من الأنانية
ما ابتلى به عالم الإنسان .

لقد أشار رمزي بوجوب إجراء عملية الزائدة الدودية .
ولم يكن هناك مفر من القيام بها .. فنقلنا ليلى إلى مستشفى
قريب ، حيث أشرف رمزي بنفسه على إجرائها ..

لا أخفي هنا تلك الصورة التي بدت فيها منذ لحظات ..
طالما شعرت بضعفى أمام رجاء ، وكثيراً ما استسلمت ساكناً
لنزواتها ودلها ، أقنع بكلمة وأسكن لحركة ، إلى أن حان

الوقت الذى شعرت فيه بأننى بدأت أفيق من غفلة حجبته
عنى طويلاً حالة لم أزد فيها عن أن أكون طفلاً .

لقد مرت بى فترة وجدتنى أجرى ورامها ساعياً إليها حتى
لحقت بها فاخفت أمامى كل فكرة تخلق منها آلهة كتلك
التي قدستها حيناً .. ثم بدت لى سافرة عن كل زخرف ..
واحدة كالأخرىات ..

أفقت فجأة من تفكيري ورحت أعجب من نفسى
لاهتمامى بامرأة شغلتنى زمناً كان علىّ فيه أن أوثر لى بما
أزخر به من إحساس وعاطفة . لقد بشرنى الدكتور بنجاح
العملية ، وقد كنت أنتظر فى صالون صغير . شعرت بالسعادة
ولا أعلم لم تجهم وجهى لما رأيت رجاء وقد دخلت الصالون
وجلست بجانبى فى هدوء وصمت . لا أدري لم نقيمت فى
تلك اللحظة على ذلك الوجه الذى شغفت بحبه يوماً ..

تركنا الدكتور فخيم علينا صمت مقبض استمر طويلاً
وأنا أشعر بنظراتها الحساسة وكأنها كانت تنتظر مني كلمة
ولكن عبثاً .. فلم أكن أجد ما أقول .

ربما يعجب القارئ لتفكيرى فى نائلة حينذاك ..
وقد دهشت أنا من نفسى لتلك الموجه من العاطفة الهائجة
المائجة التى غمرتني وأنا جالس بجوار رجاء ، وليلى فى فراشها .

قمت لتوى رصعدت إلى ليلى .. لم تكن قد استفاقت
بعد من المخدر ، بل كانت فى سبات عميق ؛ فجلست بجانبها
وما هى إلا هنيهة حتى أتت رجاء وجلست أمامى صامته
سائلة ..

إن تلك الاثرة التى عمدها فى نفسى قد جعلتني أرى
أننى لست جديراً بتلك الصلة التى تربطني بليلى .. أنا لا أستحق
أن أكون أخاها .. أخ ذلك الملاك الصامت ..

لم أشعر إلا وقد ارتيمت عليها ورحمت أقبل جبينها
وقد اغرورقت عيناى بالدموع التى انهمرت على وجهها الساذج
ثم شعرت بيد رجاء وقد أمسكتنى من كتفى فقلت لها دون
أن ألتفت إليها .

— فات وقتك يا سيدتى .. كنت نذلاً ولا أريد أن
أكون ذلك النذل .. إبنى أحب ليل .. أحبها أكثر من
كل شىء .. أكثر مما اعتقدت بحبك يوماً .. أنا لم أحبك
لقد عشت فى أوهام وخيال كاذب .. إبتعدى عني .. لقد
أفقت من غفوتى ..

— أنت واهم .. جبان .. يمكنك أن تهرب من
حقيقة واضحة .. ولكن إلى حين .

— إبتعدى عني .. أرجوك ..
— لو اعتقدت بأن فى ذلك صالحك لفعلت .

— أمامك مريضة ، ولا أقل من أن تحترمي شعور

أخيها .. دعيني في هدوء ..

— سوف أتركك ما دامت هذه رغبتك . سأقرا في

حجرتي وقد أستمروا في القراءة حتى منتصف الليل .. إلى اللقاء .

كنت والدكتور جالسين نتجاذب أطراف الحديث في

حجرة ليلى وقد اشتركت معنا في بعض نواحيه حتى اقترب

منتصف الليل .. ومرت الثانية عشر .. فانهقد اساقى عن

الكلام ، واستولى على ضيق شديد لم ينقذني منه إلا وصولي

إلى الفندق .

كانت الساعة الواحدة قد انقضت لما فتحت باب حجرة

رجاء ، فوجدتها جالسة على مقعد كبير .. نهضت واقفة

حين رأتني وابتسمت وقد شع من عينيها بريق خاطف وقالت .

— كنت أوقن أنك ستأتى . . وقد أتيت .

نطقـت بالكلمـه الأخـيره فى قـوة وسـخريـه ووجـدت
نفسى أندفع نحوها وأطوقها بذراعى وأنا أتساءل كيف
يـكـون فى قدرتى أن أعيش بعيداً عن رجاء 11 .

وفى الصـباح تناولنا الإفطار سوياً ثم اتجهت إلى المستشفى
لنـعـود ليلـى ، وهـناك وجـدت باقـه من الـورود فالتفت إلى
ليلى متسائلاً فاحمر وجهها وقالت فى خجل .

— الدكتور .

ولم أدرك كنه ذلك الدافع الذى حفزنى على القول .

— إنه شاب نبيل . . لم أكن أعرف عنه ذلك .

وجدتني أوزع نظراتي بين ليلي ورجاء التي أدارت رأسها
وراحت تنظر إلى الورد ، وبعد لحظة أتى الدكتور
وصافحنـا وأخذ يتودد فى الحديث مع ليلى . . لم تكن تخفى

على تلك العاطفة المتبادلة بينهما والتي قد تكون وليدة
ساعات عند ليلى . شعرت بسعادة فياضة اهتزت لها في
نشوة قد لا أحس بها لو كنت أنا الدكتور نفسه . ولا أعلم
الآن لم أسقطت رجاء من تفكيرى فى ذلك الحين .

وفى طريق العودة عند الظهر كنت أسير مع رجاء فى
ميدان الكونكورده ، الواسع لما أخبرتنى بأنها أرسلت
فى استدعاء خالتي ، وربما تصل من لحظة لآخرى .. سألتها
عن سر دعوتها إياها فقالت .

- من الأفضل وجودها بجانب ليلى .
- ولكن حالتها لا تستدعى ذلك .
- لست أتكلم عن المرض الذى ألمّ بها .
- عمّ تتكلمين إذن ؟ !
- لعلك تتجاهل علاقتها برمزي .

— هذا أمر لا يهمك كما يهمني أنا .

.. أنت ساذج .. ترميها لرمزي ضحية بريئة .

— قد يكون ذلك .. وإني أتساءل لو كان حبك للدكتور

يدعوك للأمل في قبوله زوجاً .. بدلاً من أن تقبله أختي .

— أنا ؟ ! . أنا لا أَرْضِي به .

— لأنه لا يقبلك يا صديقتي .

— وما ادراك ؟ أنت كاذب .

— يؤسفني أن أكون قد قلت الصدق .

— ومن أين لك أن تعلم ؟

— رأيتُ كما رأيتِ باقة من الورد عند ليلى .

.. إنها مجاملة عادية يقوم بها أي كائن كان ..

وفي الواقع فقد شعرت بضعف حجتي ، ولكنني قلت .

— لو كنت أنا الدكتور لما اقتصررت نيتي على مجرد

المجاملة . أنا رجل وقد شعرت بمثل ما يحدث اليوم .

— لا أعلم كيف يمكنك أن تطرق موضوعاً لا تزيد

معلوماتك فيه عن معلومات طفل صغير .

فابتسمت في سخرية وقلت .

— قد يشعر ذلك الطفل الصغير بما لا يمكنك أن

تشعري به يا رجاء . . إنه يعرف ما هو الحب ، ويعرفه

حيث لا تعرفيه أنت . . إنني أحب يا رجاء . . أحب كائناتاً

بعيداً قريباً . . أراه الآن كما أراك ، بل ربما كان لي أقرب

منك الى . . وكم أود أن أكون ذلك الطفل الصغير . . ولا

أكون غيره ، وحينئذ يحق لي القول بأنني عرفت الحب . .

تلك العاطفة النبيلة التي لا تقتحم كل قلب . . إنها نفيسة

قد لا يفهمها شخص كما يفهمها كل قلب .

ضحكت في سخرية وعصبية وقالت .

— إننى آسفة .. أراك الآن على غير ما اعتقدت .

— مرحى يا سيدتى مرحى ..

— لك أن تسخر منى .. ممن اعتقدت بحبك لها .. كان

يجب على ألا أبادلك تلك العاطفة التى كاشفتنى بها .

— كفانا من تلك الكوميديا يار جاء .. أنت لم تحببني يوماً .

— أعتقد أننى ألهو بمثل تلك الكلمات ؟

إلتفت إلى وجهها الذى بدا هادئاً ساكِداً فكدت أندم

على ما قلت .

كان ردى الصمت الطويل .. والذى طال حتى وصلنا

إلى الفندق .. مررت على صندوق البريد فلم أجِد شيئاً ..

عبس وجهى ورأيتنى أغضب دون أن أعلم الدافع ..

وجأة سألتنى رجاء عن السبب فقلت .

— كنت أنتظر رسالة .

— ممن ؟

— ومن تكون ؟ من نائلة طبعاً .

كنت أعلم أتى أكذب ولكنتى أحسست بارتياح
لا تتظارى تلك الرسالة .. ولعل من العجيب حقاً أن
أخلق الاكذوبة وأكون أول من يصدقها ، فلم أكن أمكث
برهة دون أن أسأل ، مرتقباً ، عن وصول الرسالة .. أنتظر
موعد البريد لأذهب إلى الصندوق وهناك يخيب أملى وأرجع
حزيناً آملاً فى وصولها فيما بعد .

على أن الأعجب من ذلك وقوع ما كنت أنتظر ، أو ما
لم أكن أنتظر .. فى المساء وجدت رسالة فتحتها وألقيت
نظرة متلهفة على الإمضاء فإذا بها من نائلة ! .

لم تكن الرسالة لى ، بل لليلى .. تهنئتها فيها بعيد ميلادها
فى اليوم التالى .. ذلك اليوم الذى كان لى كل شىء ..

رجعت بخيالي إلى عام مضى .. بدت أمام ناظري تلك
اللوحة التي أذكرها الآن .. وأذكرها تماماً .. طرقت أذني
نغمات « جرانادا » وفاح في أرجاء المكان شذى عطر جميل
لم يكن بغريب عني .

كانت فترة من الماضي وجدت فيها ما لم أجد بين أناس
أعيش بينهم وأتفقد فيهم عبثاً ذلك الذي أرى في خيال
واهم كنت أشعر بأنه سراب .

الفقير والفاخر

« لماذا تردد وأقلب الأمر على أوضاع
عدة ؟ هل يساورنى الشك الآن فى
علاقته بها ؟ ! »

لبثنا بباريس حتى شفيت لىلى ، وجاءتنا خالتي
وعزت بك .

لم يكن من الصعب علينا أن نتال منها الموافقة على
زواج لىلى من الدكتور . . رحبت بالفكرة ما دامت لىلى

سها قد قبلته . .

ولم يمض على وصولها أيام حتى شرعنا في الرحيل . . لا
يرك حقاً ذلك الباعث الذي أشعرنى بسعادة قلما أحسست
أمن قبل . . كنت أرى نائلة أمامي طوال الوقت بشعرها
لاشقر ووجهها الهاديء في صورة فاتنة باهرة لا أستطيع
مها أن أتمثل تقاطيعها بدقة بل كنت ألمح جمالاً في وجه
سم قد يكون لنائلة نفسها كما قد يكون لأخرى .

أحسست رجاء باعراضى عنها فقد كان يمر اليوم دون
ن أوجه إليها كلمة أو أكلف نفسي عناء الالتفات إليها ،
لذت هي الأخرى بالصمت حتى كانت ليلتنا الأخيرة من
رحلة فقالت لي في هدوء .

— أحقاً أنت نحب نائلة يا سامر ؟

فرمقتها بنظرة باردة وقلت .

— ألا تعلمين بعد ؟

— بالرغم مما بها ۱۱ ؟

فدهشت من كلماتها ولكنني رددت .

— بالرغم مما بها .

— أتعلم هي بحبك لها ؟

— طبعاً .

— وما رأيها ؟

— وبأي حق أخبرك برأيها .

فابتسمت وخففت بنظرها وقالت .

— كأخت .

— ومنذ متى تعتبرين نفسك أختاً ؟

راحت تداعب صفحات كتاب كان معها ثم التفت

إلى باسمه وقالت .

— قد أكونها منذ اليوم .

— لا بأس .. سأخبرك بكل شيء .. فأنا أحبها وأعتقد

أنها تبادلتني نفس العاطفة .

— لا بد وأن تكون أمضيت وقتاً طويلاً لتصارحها

بحبك ..

— أبدأ .

— هل فهمت ردها ؟

— أعتقد ، فقد كانت كلماتها صريحة .

ضحكت في دلال وقالت .

— أنت تكذب يا سامر .. أوكد لك أنك كاذب .

رمقتها بنظرة ساخرة وأنا أحاول أن أخفي عجيبي من

تحديها ، ولكنها قالت أخيراً .

— نائلة لا يمكنها أن تقول شيئاً .. إنها خرساء يا صديقي .

كان لکلماتها وقع شديد في نفسي ، فقد صُغت لتلك
المفاجأة التي لم أكن أنتظرها أو أحسب لها حساباً .. ولكنني
اعتدت في جلستي وقلت لها في عصبية .

— .. يمكنك أن تقولي أكثر من هذا .. أخبريني
أنها عمياء أيضاً .. تكلمي .. ماذا تنتظرين ؟

— ولم أخبرك بذلك وهي ليست بعمياء ؟

— أعتقد أني من البله لدرجة تصديق ما تهدين به ؟

— لا يا سامر .. أنت لست في حاجة للبله حتى تثق

بما أقول .

— لا بأس . لتكن خرساء .. ولكنني أحبها ..

وسأحبها بالرغم من كل شيء ، ورغماً عنك . ألك أن تتركيني

في هدوء ؟ ألا يكفيك أنني أمقتك ولا أتصور رؤيتك

أمامي لحظة ؟ إنني أكرهك ولا أرى فيك غير امرأة لا

تستحق أن تحترم .. بمقوته .. كرهة يتلقفها الكل .. لقد
طالت المهزلة يا سيدتى .. لقد أصبحت باردة ممة .. إبتعدى
عنا فالعالم لا ينقصه أغبياء تستولين على عقولهم الضعيفة ..
فمت متجهاً إلى ليلي وسألتها وقد بدأت العبرات تتساقط
من عيني ..

— ليلي .. لم أخفيت عنى ذلك ؟ .

فاقتربت منى وقالت .

— ماذا أخفيت عنك يا سامر ؟ تكلم .

— نائلة .. أيمكن أن تكون خرساء ؟ أيمكن أن

يكون ذلك ؟

فأطرقت برأسها وقالت .

— إتنى أحبها يا سامر كما أحب أختاً صغيرة أراها جميلة

بل فاتنة لا تنقصها غير الكلمات . وطالما كنت أكذب

نفسى وأتناسى ما بنـائلة حتى أراها كامـلة أمامى ولو أتى
كنت أخدع نفسى قبل أن أكذب الواقع .. الواقع القاسى ،
فهى كذلك .. خرساء ..

— ولكن لم كتمت عنى ذلك ؟

— كنت ستصدم .. ولم أكن أجد فى نفسى الشجاعة
لأخبرك بعيب لم أكن أوده لنائلة .. أو أود سماعه على
الأقل .. وكثيراً ما حاولت أن أبعد تفكيرك عنها .

— ولكننى ما زلت أحبها ..

— ربما أنت واهم ..

— ولم ؟ من يدريك ؟ ربما كان ذلك الخرس نعمة
أنزلها الله بها .. ربما كان قد قُدر للسانها أن يصبح كمثات من
الأسنة التى تمسح عن الوجوه ما وهبها الله من جمال رب
لفظ قبحه أو كلمة شوهته .. من أدراك أن تكون تلك

الخرساء عاجزة عن أن تعبر عما تريد بنظرات ملؤها
الصدق ؟

ومضت ليلة طويلة طغى فيها تفكيرى القاتم على تلهفى
للمودة إلى بيتنا .. حاولت عبثاً أن أتجاهل الخيبة المفاجئة
لأمالى وأحلامى .. ورأيت أمام عيني صروحاً تهدم وقصوراً
تتداعى أفتتها فى حلم جميل ، نعمت بها متجاهلاً الواقع وقد
أبطن لى حسرة أليلة .

لا أقول إن رجاء قد كسبت ما خسرتة نائلة .. فما
زلت أراها كما كانت لى من قبل .

تواردت الخواطر فى رأسى وقت أن كان الجميع
نياماً .. ظننت أننى المخلوق الوحيد الذى ذهب عنه النوم
وتركه لهواجس قاتلة لم تجد غيره فريسة لها .. أذاك

الوجه الجميل صورة صامته لا تنطق كما تنطق الاخريات ١٤

مضت الليلة وقد خلتها دهرأ وأنا بين مداعبة النوم
لعيني لحظات والأرق الممل طوال الليل .. أغفو وقتاً
فأرى وجه نائلة الباسم وصوتها العذب .. أسمع منها الكلمات
وقد انسابت في الحنـ جميل ، وأفيق من ذلك الحلم فجأة
لأرى الواقع والشفيتين الصامتين .

مرت بي لحظات كنت أبدو أشاءها وكأنني لا أكرث
بما علمته عنـ نائلة .. ماذا يجديني أن أسمع صوتها أو لا
أسمع ما دمت أحبها وما دام حبي لها يصل إلى الأعماق ١٤
ولكن هل كان يمكنني أن أحبها لو كنت أعلم بما بها قبل
أن أراها ؟

لماذا أتردد وأقلب الأمر على أوضاع عدة ؟ .. هل
يساورني الشك الآن في علاقتي بها ١٤

ولكن هل ترضى هي بي لو صار حتمًا بحبي ؟ إتنى لغبي
حقاً .. كيف تسنى لي أن أفكر في مثل هذا السؤال ؟
طبعاً سترحب بي . ستقبلني كما ستقبل أول من يتقدم إليها
ويرتضيها .. ولعلها في انتظار ذلك الشخص الآن ..
ولكن أيعقل أن يكون ذلك الشخص المنتظر قد وُجد
بعد ؟ وهل من السهل لها أن تعثر على من يرتضى شريكه
لحياته فقدت ما وهب الله غيرها من نعمة - أولئك اللاتي قد
لا يزدن عنها جمالاً أو فتنة - فيراها دونهن كمالاً ؟
لا أحاول أن أدعي لنفسي ذلك النبيل الذي كنت أرجوه
وأتمناه ولا يمكنني الآن أن أخدع نفسي فأنكر تلك الموجهة
من الأسف وقد هاجمتني .. ولعلها كانت المرة الأولى في
حياتي أقلب الأمر في تمقل واتزان ، وأرمى بصرى بعيداً
أفكر في النتائج قبل أن أقدم على فعل شيء .

° ° °

مضت أيام على وصولنا إلى مصر رحت بعدها أتودد
إلى رجاء حتى قبلت أن تخرج معى لتناول العشاء فى مطعم
أحد الفنادق .

كانت دائمة التفكير ، يبدو عليها شىء من القلق ، حتى
خيل الى أن خروجها معى قد جاء رغباً عن إرادتها ،
ولكننى كنت أشعر برغبة ملحة فى أن أفتحها فى الزواج ..

كنت على اعتقاد يعززه الأمل فى ترحيبها لطلبى
ولكننى سرعان ما ابتليت بصدمة انهار معها أملى ؛ فقد ألفت
على نظرة ساهمة وقالت .

— أجدى لك يا سامر أن لا تفكر فى مثل هذا الموضوع .
— أترفضين إذن ؟

— نعم . أنا آسفة ، ولكننى لا أملك غير الرفض .
كانت دهشتى كبيرة فلم أكن أتوقع أن يكون نصيبي

الفشل .. لم أطل الوقت معها فخرجنا تاركين المكان بعد
انتهاء العشاء .. وفي الطريق إلى منزلها قالت لي بينما كنت
أقود العربة .

— سامر .. أ كنت جاداً فيما عرضت عليّ ؟

— لا أرى بي حاجة لأن أمزح .

— هل فكرت ملياً ؟

سكت عن الجواب . لم أكن في الواقع قد فكرت
ملياً في طلب يدها هي .. بل لقد طرأت عليّ تلك الفكرة
لساعتها ، بعد أن طال بي التفكير في نائلة .. إنتهت فجأة
إلى صوت رجاء وهي تقول .

— ألا ترى أنك لا تود أن تكذب عليّ ؟

— لم يخطر ببال أن أ كذب .. ولكنتني أريدك ..

— كنت أود .. ولكن .

لم تتم جملتها ، بل سكنت فالتفت إليها وقلت متسائلاً .
- ولكن ؟

- أرجوك .. لترك هذا الموضوع .. لتكلم عن شيء

آخر .. ما رأيك في أن نقضى سهرة الغد في سينما (..) ؟

- وفي انتظار مساء الغد ستفكرين فيما طلبت إليك ..

- آسفة يا سامر .. لقد أعطيتك كلمتي الأخيرة .

- إذن فلم نتقابل ؟ وما جدوى لقائنا ؟

- هل تكون قد غضبت مني ؟ سامر .. أرجو -

لترك هذا الحديث .. أؤكد لك أن مثل هذا الكلام يؤلمني .

- أنت تخفين عني شيئاً .

- لا . أنت مخطيء .. عدني أن نتقابل غداً .

لم يكن هناك بد من أن أعدها بذلك .

• • •

دق التليفون ينادينى فى صباح اليوم التالى ، وكان
المتكلم الدكتور رمزى . طلب إلى أن ألقاه فى الخارج . .
وما هى إلا برهة حتى كنت معه . .

كان فى حالة من الاضطراب وقد عاهدت فيه الهدوء
وضبط النفس . مرت فترة سكون فشعرت أنه لا يكاد يدرى
كيف يبدأ الحديث ؛ وأخيراً قال فى صوت خافت .

-- يؤسفنى يا سامر أن أخبرك بأمر لم أكن أوده . .
ولكن أرجو أن أجد فى عقليتك الواسعة ما يشجعنى
على الكلام . .

صمت لحظة ووجدتني أنتظر ذلك الأمر الهام حتى قال .
-- لم أعد الشخص اللائق ليكون زوجاً لىلى . . أراك
صامتاً . . قد تجدى نذلاً . . ولكننى مضطر للزواج من
رجاء . أعلم أننى قد أسأت لكليكما - أنت ولىلى - ولكننى

كما قلت مضطر لذلك ..

سهمت نظراتي وأنا أكرر كآمته .

— مضطر .

— نعم .. وأرجو أن تكون قد فهمت ما أرمى إليه .

فالتفت إليه متسائلاً وقلت .

— لم أفهم بعد ..

— أنت تعلم بتلك الصلة التي كانت تربطني برجاء . لا

أقول لك إنها وحدها الباعث على رغبتى في الزواج منها ..

هناك أيضاً من سربطني بها .. ولا جله فقط أراى مضطراً

للزواج منها كما يجب أن يفعل كل رجل له كرامة

وشهامة ..

— هل أخبرت ليلي بذلك ؟

— لا .. لم أجسر .. ولو أتى كنت أجهل ما خبأه

لى القدر . . لقد أحاطتنى رجاء علماً بهذا الخبر منذ
وقت قصير .

دارت الدنيا أمامى وشعرت بنفسى وأنا لا أستطيع
أن أرى شيئاً أمام ناظرى . أحسست بما يدفعنى إلى التهلك
على الأرض ولكننى تمالكـت نفسى وقلت .

— لقد رفضتنى رجاء بالأمس .

— أعلم أنك تريدها . . كما أعلم أنى أنا الذى أجرمت
نحوك . . ولكن ليس هذا مجال لوم أو عتاب .

لم أقل شيئاً فقد انتقضت برهه مرت على وأنا أفكر
وفجأة انفرجت أسرارى وجهى والتفت إلى الدكتور مبتسماً
وأنا أقول .

— أراك يا دكتور ترى الأشياء من وراء منظار
أسود . ما رأيك فى أنى ما زلت أريد رجاء ؟

— أنت !! —

— نعم .. أنا .

— تريدُها بالرغم من كل شيء ١٩

فرددت في هدوء .

— بالرغم من كل شيء .. فأنا أحبها .

إبتسم رمزي وشعرت بأن عيني— قد شع منهما بريق

خاطف ولكنه سرعان ما تغير فجأة وقال .

— أخشى أن يكون قبولاك رجاء تضحية منك .

— ثق بي يا دكتور ، فأنا أقدر ما أقول وما أريد أن

أفعل .. إنني سعيد ، فالمشكلة قد حُلّت ، ويا ليت رجاء قد

أفضت إلى بكل شيء .. لمكنت قد قبلتها في التو .

أمضيت نهار ذلك اليوم هائماً ناعم البال .. أنتظر المساء

ولقاء رجاء ...

القصيدة السابعة

« . . . كنت أدرثر بثوب حريري أبيض
واسع ، وأتعل بخفين من الجلد المذهب .
كان الشفق قد مهد للشمس سبيل ظهورها
والبعث النسيم عليلًا يداعب ثوبي
الغضاض . . . »

في الساعات التي انتظرت فيها رجاء كنت أشعر أني أكاد
أهتف لكل من ألقى أن رجاء قد أصبحت لي ..
رأيت ليلى فعانقتها وقد وجدتني أضحك عالياً ،
فاعترتها الدهشة وسألتنى عن السبب فقلت لها .

— ما رأيك في رجاء يا ليلي؟ وماذا ترين في أن
تصبح زوجاً لأخيك؟ .

— أهنتك .. ما دمت تريدها .

— وأنت؟ ألا يسرك أن تصبح كذلك؟

صمتت ورأيت عينيها وقد اغرورقتا بالعبرات فقلت .

— ليلي .. لعلّي أزعجتك؟

— لا .. أبداً .

— ولكن علام البكاء؟

— إني فرحة .. جداً .

— لست أرى ذلك ..

أجل ، فأني لم أكن أعتقد أن إعلاني الزواج من رجاء

قد سر ليلي ، فأجلستها وبعد برهة قالت .

— لقد طلبت إلى رجاء ألا أفكر في رمزي .. ولا

أعلم الداعى .

— هل طلبت إليك ذلك ؟ !

— نعم . بل لقد تحدثنى .. ولأنى أخافها فى الواقع ، فربما

تسبب لى تعباً يوماً .

قلت لها وقد تظاهرت بالدهشة .

— أتحدثك أيضاً ؟ !

— نعم .. وأرجوك يا سامى أن تساعدنى .

— بلهأ .. لقد كانت تمزح معك .

— ولم مثل هذا المزاح ! لقد كانت جادة فيما قالت .

— أراهنك أنها كانت دعاية متقنة .

— كم أود لو كانت كذلك !

— بل هى كذلك . تعالى معنا الميـلة إلى سينما (. .)

وستسمعين بأذنك صدق ما أقول .

— إني على موعد مع صديقة .. وربما اعتذرت فاستطيع
أن أذهب معك .

• • •

أت صديقة ليلي لزيارتها .

.. كانت الشمس قد اختفت عند ما نزلت رجاء من
منزلها وأخذت مكانها بحـاني في العربة . حاولت أن
أنهى إليها الخبر العظيم الذي كان يملؤني حينئذ ..
ولكنني قلت لها وقد ارتسمت ابتسامة عريضة على شفـتي

— ألا ترينني أبتسم يا رجاء ؟

أجابت وقد ابتسمت هي الأخرى .

— حقاً .. ولكن ما السبب ؟

— إذن فاستعدى للمفاجأة الكبرى .

— أسارة هي تلك المفاجأة ؟

— ولم أبتسم إذن ؟

— أخبرني .. ما هي .. لقد أغريتني كثيراً ..

شعرت بقلبي يخفق وأنا مقدم على الكلام ، وسرت في
جسمي رعشة قوية .. وما هي إلا لحظات حتى سمعت دويّاً
هائلاً .. استيقظت من نومي على سرير في المستشفى وقد
أحاط بي الكثيرون . لم أتبين منهم إلا ليلى وعزت بك .
سألت عن رجاء فأخبروني أنها في الحجرة المجاورة ، وما زالت
هي الأخرى في غيبوبة طويلة .

كان ذراعي قد غُطّي باللفائف ، وقد علت وجهي
بعض الجروح التي ضُمدت قبل أن أستفيق إلى نفسي ، ولم
يكن لي من شاغل في تلك اللحظة إلا أن أرى رجاء
وأعرف ما ألم بها .

جاءني رمزي وأفضى إليّ في همس .

— أهدئك يا سامر . كان لا بد من حادث يقع
لنُجِّل المشكل ..

فَنظَرْتُ إِلَيْهِ مُتَسَائِلًا فِي دَهْشَةٍ فَقَالَ .
— رجاء لك .. وحدها . منذ الآن ..

— لي ؟ !

— أجل .. إن حالتها عادية بالنسبة لما حدث لها ،
ولكنها تمر بحالة نفسية قد تتعبها بعض الشيء ، وربما أنت
وحدك تستطيع أن تحسن من حالتها .

— هل أخبرتك بشيء ؟

— وأي شيء . يا صديقي ! إنها تسأل عن موعد إعلان
خطبتي بليلي .

مرت أيام قبل أن يُسمح لي برؤية رجاء .. دخلت

حجرتها وجلست على فراشها وهي متمددة عليه وقد
بدا وجهها وادعاً .. ناصع البياض .. وارتسمت
ابتسامة نقيّة على فمها الجميل . تركنا الجميع وحدنا
فقلت لى .

— حقاً لقد كانت مفاجأة .. سارة على ما أعتقد يا سامر .
— أنا آسف يا رجاء .

— آسف ؟ اعلى الرغم مما أخبرك به رمزي ؟ أوه
يا صديقي .. لو لم أكن طريحاً الفراش لاحتفلت
بهذا الحادث .

— والى كنى لم أقصد بمفاجأتى تلك المصادمة قط ..
هناك مفاجأة أخرى .

— أنت تحاول إغرائى من جديد .. أخشى أن يقع بى
السريّر هو الآخر هذه المرة !

— ليفع .. ولكن بعد أن أعرف ردك .

— ردى ؟ ولكنتك لم تسألنى أو تطلب الى شيئاً بعد ا

— أطلب يدك يا رجاء ..

نظرت إلى مبتسمة وهى تمتد يدها إلى فى غبطة ، ولم
أشعر بنفسى حينذاك وقد عشت معها فى قبلة طويلة
أفقت منها لما ترامى إلى سمعى وقع أفدام آنية .

° ° °

إنها ظاهرة عجيبة لا أستطيع أن أجسد لها تعليلاً ..
طالما كنت أشعر بحاجتى إلى النـوم فى تلك الأوقات التى
أحس فيها بالسعادة وقد فتحت أبوابها فى طريقى ..
ولعلنى كنت أخشى أن يأتى إلى الواقع بعدئذ بما يسبب
لى هماً يهدم سعادتى ويتركها أطلالاً .. كنت أخشى أن
يسرح فكرى طويلاً فأصور الامـور كما أشتهى

فتتضخم الآمال أمامي وتنقلب سراباً بعد حين ..

• • •

تركت المستشفى بعد أن تم شفائي ، ورحلت أذهب
إليها كل يوم لأعود رجاء ولم يبق لها غير أيام لتركها
هي الأخرى .

قالت لي في عصر ذات يوم .

— أتؤمن يا سامر بتحقيق حلم رأيت ؟ وهل يحدث
أن يصدقه الواقع ولو لمرة ؟

— لو كانت خيراً فكم نود لو لمسناه في أيام تأتي ..

— إنه خير .. لقد تمنيت لو لم تكن البقطة انتشلتني من

جوه الجميل .. ولو كانت حياتي تجمعت وغدت في حلم

كذلك الذي عشت فيه لحظات .. أنصت فسأقصه

عليك ..

لقد وجدت نفسي أضرب في ييـداء واسعة ، أسـير
مسافات طـويلة لا أرى أمامي غير الأفق البعيد ..
كنت أتدثر بثوب حريري أبيض واسع .. وأتعمل
بخفين من الجلد المذهب . كان الشفق قد مهد للشمس
سبيل ظمـورها ، وانبعث النسيم عـلياً يداعب ثوبي
الفضفاض الذي راح يتماوج في انتظام . سمعت موسيقى
غريبة ما طرق أذني لحن أبـدع منها وأشجى .. بدا لي
عن بعد بناء ناصع البياض كأنه قد رُصع بماس وأحجار
كريمة راحت تشع بريقاً يظهر ويختفي طـوال الوقت حتى
اقتربت منه فإذا بي أمام معبد رأيتك واقفاً على بابه وقد
ارتديت مثل ملابسي فركت خاشعة خاضعة .. وما هي
إلا هنية حتى أخذت ييـدي وساعدتني على الوقوف ..
وهنا سمعت صوتك يقول : هنا دارنا يا رجاء .. هنا

سنعيش بعيداً عن العالم الآخر ، وستكونين لى وأنا لك ..
هنا سوف نحيا حياة أخرى .. حياة أحلى من تلك
التي تركنا ، ولن نستطيع قوة فى الوجود أن تفرق
بيننا .. فالخلود هو الذى سيجمعنا ..

بدت كلماتها لحناً عذباً إنساب حنوناً .. وظهرت لى
الحياة حلوة جميلة بدأت أحبها ورأيت فيها ذلك اللون
الضاحك الزاهى الذى غمرنى بالسعادة ..

قمت إلى النافذة ألقى نظرة على الكون ، أرقب من
بعيد ذلك المعبد الذى رأيته رجاء .. وأشاهدها وقد بدت
فى ثوب الملاك البرى ، تضرب فى اليبداء الواسعة فى
طريقها إلى عشنا .. ذلك العش الذى ولجته وطفقت
بأبهائه وعشت فيه نهار ذلك اليوم .

استقبلت الغد مرحاً مستبشراً ، وجمعتنى مائدة الافطار

بخالتي ولبلى وعزت بك .. كانت الوقت مناسباً لأزف إلى
خالتي خطبتي رجاء ، فابتسمت ونظرت إلى طويلاً ثم بدت
لى وهى تفكر وقالت أخيراً .

— لقد كنت أنتظر ذلك يا سامر . والآن وقد
صممت جدياً ، فلا أجد مانعاً .. ولكننى سأعطيك كلمتى
بالقبول غداً .. فى مثل هذه اللحظة ..

— قد لا تودين الرفض .. الآن ؟

— أبدأ . لست أقصد ذلك .. ولكننى أرى أن أترك
لك المجال للتفكير ملياً خلال هذه الليلة .. وتأكد اننى
سأحترم ما يستقر عليه رأيك .. وكلمتك ستكون كلمتى
ولا أطلب اليك أكثر من التفكير الهادىء فى هذا الموضوع .
تلاعبت كلماتها فى مخيلتى ، وأخذت أحاول تفسير
ما ترمى اليه حتى قالت أخيراً .

— عجباً .. كم فرت الأيام سراعاً .. وكم أذكر
الآن ذاك اليوم . كنت أتناول الغداء مع والدى وشقيقتي
والدتك - لما أنهى إلى والدى خبراً شدهت له .. فقد
تقدم إليه صديقه السكهل الثرى يطلب يدى .
إلتفتت إلى باسمه وسألتنى .

— أتدرى يا سامر ماذا كان جوابى ؟
— لقد قبلت طبعاً .. ما دام قد تزوج منك .
— ولكننى رفضت فى بادىء الأمر .. ورفضت بشدة .
ما زالت كلمات والدى ترن فى سمعى الآن .. لقد قال
لى .. سوف أتركك الليلة لتفكرى . قد يحق لك أن
ترفضى ، ولكن فكرى .. وفكرى ملياً .. ،
سكتت برهة ثم استطردت تقول .

— لم أكن بحاجة لأن أفكر ففكرت لتـوى .. وفى

صباح اليوم التالى بدأت أقلب الأمر بشئ من التروى والأناة
فمر بخاطرى أننى تمنيت يوماً بينما كنت طفلة أن أشتري
عروساً من القماش ، وحصلت عليها ولك أن تُقدر
فرحى بها وقد أمرت بأن تنام بجانبى فى فراشى .. وكان لى
ما أردت . كنت أجلس أمامها أعجب بها وبجمالها ، إلى
أن خطر لى يوماً أن أرى ما بداخلها فأتيت بسكين وفتحتها
فكانت مفاجأة محزنة لما رأيت « القش » يتساقط منها ..
من تلك الدمية التى أغراني جمالها .

خطر لى حينئذ أنه كان يحسد ربي أن أطلب شراء تلك
الساعة الذهبية الصغيرة التى رأيتها يوماً بدلاً من أن
أختار العروس ، الخادعة .. واشتروا لى الساعة ..
وفخرت بها أياماً إلى أن فكرت فى فتحها هى الأخرى
وفحص ما بداخلها قطعة قطعة ، فما لبثت أن وجدتها قد كفت

عن الحركة فندمت على اختيارى تلك الساعة التى تملك
إعجابى وقتاً .

لقد تساءلت يا سامر كيف يحدث أن يخيب أملى بمثل
هذه السرعة فأكفر بما قدسته من قبل ؟ لا أدرى كيف
سبق تفكيرى السليم سني المبكرة فرحبت بزواجى من
الثرى .. الثرى الكهل .. وأؤكد لك أننى وجدت فى
ذلك سعادتى .. فحياة البذخ التى كنت أحيها كانت كل
ما أتمنى فى دنياى .. ولقد نلت ما كنت أنشده .. وها أنا
سعيدة الآن .

سكتت فترة ثم قالت .

— إن رجاء صديقتى وأنا أحبها .. وتأكد أننى لا أود
إلا الخير لك .. ولها ، وما دمت تجد سعادتك فى أن
تصبح رجاء زوجاً لك فإننى لا أريد أن يكون هناك

تردداً أو تسرعاً في رغبتك هذه قد يكون سبباً في شقاءها
يوماً . أتعدني إذن أن تفكر في ذلك ؟

وعدها . . وبينما كنا نترك المائدة دق التليفون ينبئنا بشدة
وطأة المرض برجاء فمضينا إليها ، وكم حال جبني دوني
ودخول حجرنها . وقفت أرقب الداخلين والخارجين من
لديها وقد استولى عليهم صمت حزين .

خرجت ليلى وفي عينيها العبرات . نظرت إلى ثم
أجهشت بالبكاء ، فأحسست بأوصالي ترتعش ، وانعقد لساني
عن الكلام وسرت الحرارة في شفتي .

أتى رمزي إلى وقد شحب وجهه ، فنظرت إليه طويلاً
وأنا أحاول أن أقرأ في عينيه الخبر الذي كنت أنتظر ثم
سأله في صوت متهدج .

— أهناك أمل يُرجى ؟

لم يجب بل أطرق برأسه قليلاً ثم قال .

— لا أشجعك على التفاؤل يا سامر .. قد تنتهى رجاء
من لحظة لأخرى .

ترنحت فى وقفى وقد جمعدت الدموع فى عيني فرحت
أردد فى صوت قد حبسته العبرات .

— لقد قتلها ..

رد رمزى مهدئاً .

— لا يا سامر . أنت لم تقتلها . إن للقدر دخلاً كبيراً
فقد كان الحادث قضاءً محتوماً . الخطأ لم يكن فى جانبك
فلا تدع لمثل ذلك الظن السخيف مكاناً فى تفكيرك ..
أنت لم تقتلها .

أخذ بذراعى فاطمته فى سكون ، وقادنى إلى حيث
كان سريرها . لم أشعر إلا والنظرات قد اتجهت نحوى ..

والآهات تتجاوب بين الحاضرات وقد احتطن بالفراش .
لم أجـد في نفسى القوى لآلـقى نظرة على رجاء .. ولم أدر
لم احتبست الدموع فى عيني حينذاك .

كان لا بد من أن أراها .. وقد رأيـتها ..

إتنى ما زلت أذكر الآن وجهها وقد بدا فاتناً رائعاً ..
وذلك الهدوء وقد شملها فى لحظة إستولى فيها الجلال على
جو المكان . لم أستطع أن أنظر إليها طويلاً فأدرت
رأسى وراحت الدموع تنهمر ولا أدرى الآن كيف
استطعت أن أرى أمامى البـداء الواسعة وذلك المعبد
الأيض .. ورجاء فى طريقها إليه .

إن تلك اللحظات القاسية القائمة لتدفع الإنسان
إلى دنيا أخرى يرى فيها مالا يظهره الواقع الملهوس . تبدو
السعادة فى هذه الأوقات عزيزة غالية .. وقد تتمثل تلك

السعادة في حياة عادية يحياها من لا يمر بنكبة كتلك التي
كنت أجتازها وقتذاك ..

إلفت إلى رجاء فالفيتها ترنو إلى بنظرة وقد انبلجت
إبتسامة شاحبة على ثغرها قدّر لها أن تكون بسمتها
الأخيرة .

لقد راحت رجاء بعد لحظات إلى غير لقاء ..
إرتميت على جثمانها .. ولا أذكر الآن ما ألمّ بي حينذاك
فلم أكن أحس أو أشعر بما كان يدور حولي ..

والآن ، وقد أسدل الزمان ستاراً قائماً على تلك
الفترة من حياتي .. كثيراً ما أرجع بنخيلي إلى الأيام
الغابرة وقد غدت ذكرى للماضي الجميل .. طالما وددت
لو عدت إلى ذلك الوقت .. طفلاً صغيراً يحيا في الأوهام .

للمؤلف

١ - وعبد : رواية قصصية مصرية في ٢٧٦ صفحة
ظهرت في أبريل ١٩٤٠ نقت

٢ - نداء الصحرة : مجموعة من الأقاصيص المصرية
في ١٤٦ صفحة ظهرت في ٥ أبريل ١٩٤١

٣ - الماضي الجميل : قصة مصرية طويلة
ظهرت في ٥ أبريل ١٩٤٢

عنوان المؤلف

١٥٩ طريق الملكة فريدة

چنا كللس رمل اسكندرية